الترجمية. المقاطع النثرية، ها هنا، توازي، في كثافتها، جهد الفنان التشكيلي في التركيز على تفصيلة من قماشته دون بقيّتها، وهو ما يكشف عن عمق آخر للكاتب، عن غنى بصري لنصوصه: ذائقته التشكيلية التي تبدو حتى في المادة البصرية التي يختارها لمصاحبة تدويناته شبه اليومية على صفحته الشخصية في الفضاء الأزرق. يصير، هنا، «الشعر رسمًا ناطقًا، والرسم شعرًا صامتًا» [هوراسيوس]. الحدث، في الغالب الأعمّ من هذه النصوص، حالةُ وَجْدٍ (وفق التعبير الصوفي، وهو أيضًا من بين المرجعيات الكبرى التي يستند إليها الشّرْكي). أما من ناحية المادة اللغوية التي توسّلها الكاتب، فقد سار فيها على درب الخيار الأصعب ـ مهما ناوشتْه بعض الشعريات العربية ـ من خلال الاستناد إلى معجم رمزيّ مركّز (وهو الخيار نفسه الذي تم لوْم راسين عليه، في المفاضلة بينه وبين كورْنيّ) يشْتغل على معمار الفقرة الفريدة.

أخضعنا ترتيب النصوص لضرورات فنية، بعيداً عن منطق التعاقب الزمني والعمودي. الأواصر بين الْحَيَوَاتِ المتوهجة أفقية.

اختيار وتقديم **رشيد وحتي**

الليلي

رابعة العدويّة: الانخطاف إلى «الحبيب الأكبر»

بثمانية قرون قبل القدّيسة تيريزا الأفيلية، التي اختطفها — دون أن يعيدها إلى مكانها — عشقها المطلق لـ «الحبيب السّماوي» حدّ اشتهائها النّهائي الفناء فيه، تسامقت رابعة العدويّة مشتعلة بتجربة حدوديّة عبرت فيها من جموح صاخب وعربيد إلى التّخوم القصيّة لحب إلهي مضفور بحروف طالعة من ليل الأحشاء. هي التي كانت فتنة العالم في سهراتها القديمة المحتدمة، لم تعد تسكن هذا العالم بعدما انخطفت، حسّياً وروحيّاً، إلى رحاب «الحبيب الأكبر»، لا ترافقها من متاع الأرض سوى كلمات معراجية ترتقيها كل ليلة نحو الوجه الماورائي، متضرّعة إليه من قلب عزلة غير بشرية أحرقت عند أجرافها كل مراكبها الأرضية في أبيات اشتهرت بها وتنْسب أيضاً إلى أبي فراس الحمداني: «تصاعد أنفاسي إليك جواب/ وكلّ إشاراتي إليك خطاب/ وإن لاحت الأسرار فهي رسائل/ فهل لرسالات المحبّ جواب/ فليتك تحلو والحياة مريرة/ وليتك ترضى والأنام غضاب/ وليت الذي بيني وبينك عامر/ وبيني وبين العالمين خراب/ إذا صحّ منك الودّ فالكلّ هيّن/ وكلّ الذي فوق التّراب تراب/ فيا ليت شربي من وردك صافيا/ وشربي من ماء الفرات سراب».

في ليلتنا العربية الظّلماء يُفْتَقَدْ بدر شاكر السّياب

«... وفي اللّيْلة الظّلماء يفْتقد البدْر» [أبو فراس الحمداني]. وفي هذه اللّيْلة العربيّة الظّلماء، يفْتقد بدر شاكر السيّاب. هو الذي افتقد زمناً فهيماً لنبوغه ورحيماً بهشاشته العضْويّة ملأ بذهب حروفه مناجم الزّمن. كان جسده نحيلاً جدّاً، لكنْ كانت وتبْقى بابل كلّها في نظْرته، والقوّة الخصيبة لما بيْن النّهريْن في روحه. كأنّه انزلق عبر سلالم العصور من أرض سومر العالية، ليقف مشدوهاً ومرتاعاً في عراق كان قد بدأ منذئذ مخاضه التاريخي العسير والوخيم، وفي خليج كان منذوراً للانحدار إلى قيامة مستقبله... بين الكتابة والانخراط السياسي في الحزب الشيوعي وآلام المرض والحاجة، عاش غريباً ثلاث مرّات متزامنة: في جسده وفي العراق وفي الخليج. ولو طال به عمره الأرضيّ، لأدرك أنّ العراق الكونيّ نفسه صار غريباً في عراق الدّمار المجنون، وأنّ خليج الأناشيد والعزّة القديمة وصحارى الشّعراء صار غريباً ومطْموراً ومتنائياً في خليج النّفْط والدّم وممالك الثّراء الوقح والسّيوف المسلولة بجوار ناطحات السّحاب. في شتاء 1964، عاد مسجّى في تابوته — مهده الجديد — لينام أسفل جيكور، قرْية ميلاده الأول، التي يعني اسمها بالفارسيّة: الجدول الأعلى، وقد كانت، تماماً مثْل إيثاكا بالنّسْبة لعوليس، هي موئل رحلته الرّمزية الشاسعة، والقاع الزمني الذي ظلّ يشعّ منه الحلم المكابر لتمّوز، وعشتار، والنّخيل السّماوي، والخصب المقدّس، والروح الثائرة المطاولة لقامات القدر. لكنّه، ككل الشعراء الذين يحمون أساسات العالم ما وراء جدليّة الحياة والموت، لم يأْو إلى قبره المسهّد إلّا لكي يغادره على صهوة حروفه السّحيقة لاستئناف تطوافه اللانهائي في زمن الأرض، مانحاً وهجاً ملْحميّاً غير مسبوق للجغرافيات والرّموز والوقائع التي رفعها إلى مرتبة نشيد أنشاد تحالفت فيه الرّفعة الاحتفاليّة بالانكسار التراجيدي، مغْدقاً فيضه المستهام على نهر بُوَيْب، ووجه غيلان، وشموخ الجزائريّة جميلة بوحيرد، وعرس المطر الكونيّ، وانْبعاث الأزْهار والأساطير، وهيْبة المومس العمياء، وزحف مدائن السّندباد المقْفرة، وحالماً، كما رامبو الذي كانت حصّته من العمر معادلة لحصّته، بنهاية الطّفاة على الأرض، وبميلاد الشّعْب منْ جديد، دون أن يدور بخلده، ولا بخلد أمير المركب السّكران قبله، أنّ الأرض والشعب هما اللذان ينتهيان الآن بعدما أفْلح الطّغاة في اختطافهما وارتهانهما، وأنّ الشّعر ازدادت جسامة مهمّته واسْتِعْجَالِيّتها لاسْترداد المجالات والحيوات والذّاكرات وطقوس الحبّ وأعياد الخصْب التمّوزيّة.

ابن خلدون: رافع الحجاب عن بنيات التاريخ العربي العنيف

في قلعة ابن سلامة، الشهيرة بمغاراتها الأموميّة، اعتكف عبد الرحمن ابن خلدون طويلاً لكتابة «المقدّمة» التي كانت، ولا تزال، ضوءاً رفيعاً وقلْباً سميعاً لهدير العصبيّات والقبائل التي أنتجت وتواصل، مشرقاً ومغرباً، إنتاج التّاريخ العربي المروّع الذي نحن شهوده الآن. في هذه القلعة، لاذ بعزلته الصّخريّة المهيبة ليرفع الحجاب عن بنيات الهول ووكلائه ومرتزقته. وفي هدأة ليلها الطّويل، كتب هذه الجملة المحيلة على ما ينفّذه فعلاً هؤلاء: «إذا أردت أن تتحكّم في الجاهلين، فغلّف كلّ باطل بغلاف دينيّ». وإذا دخلت أرض هؤلاء المتحكّمين «فوافق أو نافق أو غادر البلاد» كأنّه كتب هذه الكلمات قبل لحظات فقط.. كأنّه ساهرٌ في ليْلنا هذا.

سركون بولص المطلّ علينا من فوق أسوار مدينة «أين»

في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، زار المغرب الشاعر العراقي الراحل سركون بولص، وأتيح لنا، بتدبير فاره من قوّة سومرية عطوفة، أن نلتقي ببيت الشاعر محمد بنيس في المحمدية. يحضرني، كما لو كان أمس فحسب، ابتهاج سركون وهو يعانقني ويخبرني، فوراً، بعفويته الفيّاضة، بإعجابه برواية «العشاء السفلي» التي قرأها في لندن في منتصف سفر كان قد قام به، قبل لقائنا بحوالي شهرين، من مهجّره الأميركي بسان فرانسيسكو لزيارة ما تبقى من أهله في عراق كان قد فقد بوصلته في رمال الشرق الأوسط المتحركة، بعد زهاء عشرين عاماً من الغياب. ويحضرني أيضاً لمعاني وجهه الآشوري — الذي خبر وعثاء الصّحارى وأوجاع المرافئ ودهشة المجهول — وهو يهديني ديوانه الباذخ «الوصول إلى مدينة أين»، بعدما كتب في صفحته الداخلية الأولى: «الوصول إلى أخي في الروح محمد الشركي، على شرف المغائر وطوطم المغامرة». بعد ثلاثة أيام قضيناها برفقة الشاعر بنيس، رافقني سركون إلى فاس حيث كان ينتظره مقياس آخر من الافتتان. وقف مشدوهاً أمام الأسوار وهدير أزمنتها، وسحرته روائح البهارات والطيوب المنبعثة من حوانيت العطّارين في المدينة القديمة. وفي طريقنا إلى مقهى الناعورة بجنان السبيل لشرب شاي منعنع، أوقفته تحت تينة معمّرة ضاربة بجذورها في سرّة جدار تاريخي. رفع بصره إليها يتأمّل أعجوبتها ثم خرج يعاين موضعها الملغز وسط السّور، والتفت إليّ مفتوناً بالشجرة المثمرة الوارفة المنفلتة من صدْع غامض في حجارة الجدار، ثم قال لي: «كيف يغيب مثل هذا السّحر عن كثير منَ الكتاب والشعراء المغاربة؟ كيف لا يجرؤون على تدمير البداهة كما تجرّأت هذه التّينة على تدمير بداهة الصّخْر؟». سؤالان لا يزال صداهما عالقاً هناك، بين صدوع أسوار فاس، التي كتب قصيدتها بعد عودته إلى مهجره الأميركي، وخرائط مدينة «أيْن» التي يسهر فيها حالياً كما يشتهي موْته الزاخر بالحياة كمدائن آشور.

امرؤ القيس: الأب الأكبر الحداثي للشعرية العربيّة

امرؤ القيْس، الذي تهدر حتّى الآن، في قلب كلماته وكلمات قلبه، جغرافيا الأرض العربيّة الأولى، وتسمع بين تضاريس معلّقته حوافر جواده المكرّ المفرّ، ويتضوّع من حروف غرامياته الوثنيّة العطر الصّحْراويّ لحبيبته «عنيْزة» التي باتت ممتدّة في الزّمن بفضل شعره، والّذي حوّل البحث عن الثّأْر لأبيه الملك المغتال إلى مسار ملْحميّ وسط عصبيّات القبائل، ونثر ذهب قصائده في كلّ فجّ عميق، واستنبت أفخم الورود وأبقاها في البراري والقفار، وانتهى متقرّح الجلْد بحلّة مسمومة «أهداه» إياها ملك الرّوم بإيعاز من غريمه الطّمّاح، وأدركه الموت قرب قبر امرأة ملكيّة في سفح جبل عسيب فخاطبها: «أجارتنا إنّ المزار قريب / وإنّي مقيم ما أقام عسيب.. أجارتنا إنّا غريبان هاهنا/ وكلّ غريب للْغريب نسيب».. امْرؤ القيْس هذا ليس شاعراً جاهليّاً، بل الأب الأكْبر الحداثيّ للشّعْريّة العربيّة، وعصْره ليْس جاهليّةً، لأنّ الجاهليّة الجهْلاء هي الرّاحفة الآن، بأمواجها المزمجرة كأمواج التّسونامي، على العالم العربي من مشرق انحطاطه إلى مغربه.

ص

فيروز: رأفة الأرض ولوعتها

لم تبلغ فيروز ثمانين عاماً. فيروز، كفيزياء الصوت النبوئي، لا عمر لها. مثله اخترقت جدار الزمن وظلّت سطوتها منفلتة من إسار خطوط الطول. هي لبنان العمق، لبنان جبران خليل جبران الذي صرخ من مقامه الأميركي في اللبنانيين — كأنه كان يرى ببصيرته شتاتهم الطائفي الرّاهن وتفرّق دمهم السّياسي بين قبائل الداخل والخارج القريب والبعيد . «لكم لبنانكم ولي لبناني». وهو لبنان الذي ارتقى سلالم صوت فيروز وانتشر في جهات الأرض. خلال سنوات الحرب الأهلية الخمس عشرة، كان وكلاء الموت بمختلف المليشيات يقنصون بعضهم البعض في نهارات بيروت المسربلة بالدخان، وفي الليالي يتحررون من أحقادهم وحساباتهم ويفيئون إلى صوت فيروز الرئيف الذي التفّ حوله إجماع يفتقده السّاسة والحكّام بمرارة. وقبل بضعة أعوام، أخبرتني صديقة لبنانية على صلة بها أنّ الفنانة الجوهرية تشترط، منذ عقود، على من يزورونها في بيتها عدم التقاط صور لها، فقلت لها: معها حق. فيروز ليست صورة. فحتّى في وقفتها المهيبة على المسارح، وفي سموق نظرتها المنشدّة إلى البعيد — نفْس البعيد الجبراني — تحسّ بها منخطفةً وغائبةً تماماً في صوتها الذي هو رأفة الأرض ولوعتها.

الكشكول كاملاً على الموقع